آثار استماع الأغاني

فضيلة الشيخ:

محمد بن هادي

المدخلي

-حفظه الله تعالى-

في هذا يقول ابن القيم-رحمه الله-، مبينًا آثار استماع الأغاني على قلوب العباد وأنها تضرها، يقول:

فالقلب بيت الله-جل جلالـــــه-

حُبا وإخلاصًا مع الإذعـــــــــانِ

فإذا تعلـــــــق بالسمـــاع أصاره

عبدًا لكل فلانـــــة وفـــــــــلانِ

يا لذة الأسمـــــــاع لا تتعوضـــــي

بلذاذة الأوتـــــــار والعيـــــــــدانِ

إن اختيـــارك للسماع النـــــــــازل

الأدنى على الأعلى من النقصـــــــــانِ

(إن اختيارك للسماع النازل الأدنى)، يعني: الأغاني، (على الأعلى)، يعني: سماع الحور العين يوم القيامة في جنات عدن، عند الله-تبارك وتعالى-في الجنان، (من النقصان).

نزه سماعك إن أردت سماع ذَيَّاك

ألغِنـــَا عن هذه الألحـــــــــانِ

وأراد (بذاك ألغِنَا) الذي أشار إليه في مطلع الفصل، في وصف غناء نساء أهل الجنة.

قال ابن عباس:

ويرسِلُ ربنا ريحاً تهز ذوائب الأغصـــــــــــانِ

فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الإنسان بالنغمات والأوزانِ

نحـــن النواعم والخوالـــــــــد خـــــــــيراتٍ

كامـــــــــلاتُ الحـــــسنِ والإحـــــــــسانِ

لسنا نمـــــــوت ولا نخـــــــاف وما لـــــــنا

سَخَـــــطٌ ولا ضَغَـــــــنٌ من الأضغـــــــانِ

إلى آخر ما قال في وصف هذه الكلمات، التي وردت في الأحاديث والآثار، عن هؤلاء النساء اللاتي أعدهن الله-جل وعز-لعباده المؤمنين، الممتثلين لأمره في هذه الدنيا فيفوزون بذلك.

ولذلك قال بعد هذا في آخر الأبيات:

(ولذا نراه حظ)، يعني استماع الأغاني في هذه الدنيا هذه الأوتار، والعيدان المحرمة، والملاهي والموسيقى.

ولذا نراه حظ ذو النقصـــــــانِ

فالصبية والنساء لضعف العقول، وكذلك الفساق الفجار هم الذين اختاروا هذه الأغاني الماجنة التي حرمها الله-جل وعلا-، وتُضرب معها هذه الأدوات التي تُغْضِبُ الرب-تبارك وتعالى-.

فالشاهد: إن استقامة القلوب لا تكون إلا بخوف الله-تبارك وتعالى-ومراقبته وخشيته، فإذا استقامت القلوب دَبَّتْ الجوارح إلى طاعة عَلَّام الغيوب.

فالمراد بالاستقامة: الإيمان الصحيح.

والمراد باستقامة الجوارح: أعمالها الزاكية التي تكون فيها وفقًا لأوامر الله، وأوامر رسوله-صلى الله عليه وسلم-.

فلا بد للمرء أن يتعاهد قلبه:

هل هو ممتلئ بطاعة الله ومحبته؟.

وكراهة معصيته؟.

ومحبة أوليـــاءه؟.

وكراهية أعداءه؟.

وإتباع أمره ونهيه؟.

هذه هي الأركان التي يصلح بها القلب، هي امتلاء القلب بمحبة الله-تبارك وتعالى-ومحبة طاعته، وبغض معصيته-سبحانه وتعالى-، ومحبة أولياءه، وكراهة أعداءه، فإنه إذا رأى ذلك ووجده من قلبه فليبشر بخير، وإن رأى غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

ولعلنا في هذا القدر في هذا الحديث نكتفي، وننتقل بعده إلى الحديث الرابع، ألا وهو حديث أبو هريرة-رضي الله عنه-.

قام بتفريغه: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد

الأحد الموافق: 18/ جمادى الأولى/ 1431 للهجرة النبوية الشريفة.